مدرسة الجشتالت :

في الوقت الذي كان فيه تتشنر صاحب النظرية البنائية يتناول صفحات كتابه الجديد ، كان آنجل في شيكاغو يصدر مؤلفه الثالث حول الوظيفية ، وواطسون يستعد في جامعة جون هوبكنز لإعلان فكرة السلوكية. في ذلك الوقت ظهر مقال في أحد المجلات النفسية في ألمانيا ،عن دراسة تجريبية للحركة الظاهرة التي سميت بظاهرة " فاي " والخاصة بظهور الحركة من مثيرات ثابتة وذلك حين تقديمها متتابعة في وضعين متجاورين، وهذه الظاهرة هي التي فسرت لنا الحركة في الصور السينمائية.

وقدم العالمان الألمانيان كوهلر kohlar وكوفكا Kofkaفي هذا المقال المبدأ القائل بأن الكل سابق لجزئياته ، وفي عام ١٩٢٣ نشر فرتيمر بحثاً أخر ضمنه بذور نظرية الجشتالت فيما يتعلق بمبادئ التنظيم – وإذا كانت لنظرية الجشتالت قد أزدهرت في ألمانيا خلال العشرينات وأوائل الثلاثينات ، إلا أنها أصبحت بعد ذلك مدرسة رئيسة من مدارس علم النفس في أمريكا في أواخر الثلاثينات وأوائل الأربعينات.

وفي رأي علماء مدرسة الجشتالت أنه إذا ما أردنا أن نفهم لماذا يقوم الكائن بالسلوك الذي يسلكه فلا بد لنا من أن نفهم كيف يدرك الكائن

نفسه والموقف الذي يجد نفسه فيه ،ومن هنا كان الإدراك من القضايا الأساسية في التحليل الجشتالتى بمختلف أشكاله.

وأحد القضايا الأساسية في النظرية الجشتالتية هي قضية الاهتمام بالتناقض بين ما يسمى (الكليات التي تساوي تماماً المجموع الكلي للأجزاء المكونة لها أو تتجاوزها).

فالنوع الأول من الكليات يشبه كومه من الطوب أو حفنه من حبات الأرز أو مبلغاً من المال. أما النوع الثاني فالكل فيه يختلف كل الاختلاف عن مجموع الأجزاء المكونة لهذا الكل.وفي رأي أصحاب نظرية الجشتالت لا يوجد سوى أشياء قليلة في الواقع يمكن أن ينطبق عليها وصف الكليات المساوية لمجموع أجزائها.

وهكذا جاءت المفاهيم الأساسية في النظرية معبرة عن هذه القضايا ، فمفهوم الجشتالت وهو المفهوم الرئيسي لم يتمكن العلماء من ترجمته إلى الإنجليزية أو غيرها ، وأصبحت الكلمة الألمانية جزءاً من مصطلحات علم النفس الفنية المستخدمة عالمياً والكلمة تعني ما يكون الصيغة أو الشكل أو النموذج أو الهيئة أو النمط أو البنية أو الكل المنظم وكذلك الكل المتسامي. فالجشتالت كل مرتبط الأجزاء باتساق أو انتظام أو نظام تكون فيه الأجزاء المكونة له مترابطة ترابطاً ديناميا فيما بينها

وفيما بينها وما بين الكل ذاته ، أو قل هو كل متكامل كل جزء فيه له مكانه ودوره ووظيفته التي تتطلبها طبيعة الكل.

ومفهوم البنية أو التركيب structure فلكل جشتالت بنيه متأصلة فيه وتميزه عن غيره. ومهمة الجشتالت تتمثل في وصف الأبنية أو التراكيب الطبيعية بطريقة لا تشوه أصولها أو كنهها. وبالطبع فإن مفهوم البنية عند الجشتالت يعد ثورة على ذات المفهوم في المدرسة البنائية عند فونت وتتشنر ونظرتهم التحليلية للإدراك فظاهرة " فاي أو الحركة الظاهرة " ليست مجموعة من الإحساسات الأولية وإنما هي نوع من التنظيم الإدراكي ، أنها ظاهرة وليست مركبا من وحدات أو من الذرات الحسية.

ومفهوم التنظيم يعني أن بنيه أي جشتالت تنتظم بطريقة خاصة وفهم تلك البنية يعني تفهم طريقة تنظيمه. وكما يرى كوهلر لا تكون الاستثارة منظمة تنظيماً ديناميكياً ، بل الجهاز العصبي هو الذي ينظم الوحدات الكلية المنفصلة بحيث تتفق مع عالم الأشياء الطبيعية. فعلى سبيل المثال ثبات حجم الشيء يظل يبدو لنا هو نفسه حتى لو غيرنا ما بيننا وبينه من مسافة. فعندما تنظر إلى الكتاب وهو على بعد قدم أو قدمين من عينيك لا يتغير حجم الكتاب بالنسبة لك ، ولكن الحقيقة أن

صورة حجم الكتاب الواقعة على الشبكية وهو على بعد قدم تكون ضعف حجمه عندما يكون على بعد قدمين ، وبالتالي فخبرتك لا بد وأن تكـون نتيجة للصورة الواقعة على الشبكية والتي لا تتفق مع الحقيقة الواقعة في العالم الخارجي وهي أن حجم الكتاب لا يتغير وبالتالي فالذي حدث هـو نوع من التنظيم بين الخبرة الذاتية والخبرة الموضوعية لـسلوك معـين. وبناء على ذلك فقد عدل كوهلر المعادلة التي صاغها السلوكيون (مثيـر استجابة) إلى معادلة جديدة سميت بالمعادلة الجشتالتيه صيغت كما يلي :

(مجموعة المثيرات ← التنظيم ← الاستجابة لنتائج التنظيم)

ومفهومي الاستبصار والفهم جاءا نتيجة للتجارب العديدة التي أجراها كوهلر في البحث عن سلوك القردة العليا ، ففي أحداها علق كوهلر موزه فوق المستوى الذي يستطيع القردة الوصول إليه. مع وجود صندوق في الغرفة ولكن ليس تحت الموزة مباشرة ، ووضع ستة قرود في الغرفـة فحاولا أولاً – المستحيل وهو الحصول على الموزة بالقفز إليها. غير أن أحد القرود – " توقف عن القفز فجأه وراح يقطع الغرفة جيئة وذهابـاً وفجأة توقف إلى جانب الصندوق وجعل يدفعه إلى مكـان قريـب مـن الموزة قرباً كافياً حتى استطاع بقفزه واحده أن يحصل علـى المـوزه ، وكان حصوله عليها بعد وقوفه إلى جانب الصندوق ببضع ثـوان فقـط"

فاستنتج كوهلر من هذا السلوك أن القرد قد أستعرض الموقف ككل ، ثم رأي فجأة العلاقة بين الصندوق والقفز والموزة مما أدى إلى حل المشكلة وأطلق كوهلر اسم الاستبصار على الخبرة التي تتناول المجال ككل وفهم ترابط أجزائه وطريقة عمله وكيفية التوصل إلى الحلول المناسبة ، وبهذا يكون الاستبصار هو تحقيق الفهم الكامل.

ويمكننا القول بأن النظرية الجشتالتية تعتبر أساساً نظرياً في التفكير وحل المشكلات. كما أن من بين اهتماماتها الرئيسية العمليات المعرفية الأخرى مثل الإدراك والتعلم ، واهتمت النظرية باتصاف الطبيعة المنتظمة المنظمة والمحددة للحقيقة بما في ذلك العمليات السيكولوجية ، وحاربت فكرة أن العقل الإنساني والسلوك الإنساني لا يعدو كونهما المجموع الكلي لسلسلة من الارتباطات الاعتباطية. ودافعت عن الفكرة الأساسية في النظرية الجشتالية والتي تتمثل في أن الكل ليس مجرد مجموع أجزائه. فالكل شيء يختلف اختلافاً جذرياً عن أي مفهم يعني إضافة الأجزاء بعضها إلى بعض، إذ أن الكل هو نظام مترابط باتساق مكون من أجزاء متفاعلة وهو منطقيا ومعرفياً سابق لأجزائه.